

## الإنسانية أولاً - تمسح دموع المكرويين

الخطاب الذي ألقاه أمير المؤمنين حضرة ميرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى

بنصره العزيز) في المؤتمر الدولي لمنظمة الإنسانية أولاً 2021

في 2021/10/31، ألقى إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية، الخليفة الخامس، حضرة ميرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره العزيز) الخطاب الختامي الرئيس للمؤتمر الدولي لمنظمة الإنسانية أولاً.

كان الحدث الذي استمر يومين، والذي أقيم يوم السبت في مسجد بيت الفتوح في لندن، ثم في إسلام آباد في تيلفورد يوم الأحد، تحت عنوان "التخفيف من حدة الفقر من خلال التمكين".

حضر مؤتمر اليوبيل الفضي للإنسانية أولاً، والذي تأخر عامًا بسبب وباء كورونا، أكثر من 1200 شخص بين حضورٍ شخصي وافتراضي، بما في ذلك مندوبي منظمة الإنسانية أولاً وأعضاء من أكثر من 60 دولة حول العالم.

وقبل الخطاب الرئيس، قدم رئيس مجلس إدارة منظمة الإنسانية أولاً الدولية، تقريرًا عن أعمال الإنسانية أولاً على مدار الـ 26 عامًا الماضية.

وفيما يلي الترجمة العربية للخطاب الذي ألقاه حضرة الخليفة ميرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره العزيز) في هذه المناسبة:

بعد التشهد والتعوذ قال أمير المؤمنين حضرة ميرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره

العزيز):

بفضل الله، تمكنا نهاية هذا الأسبوع من عقد المؤتمر الدولي للإنسانية أولاً. كنتم قد عزمتم، كما ذكر في التقرير أيضاً، على عقد هذا الحدث العام الماضي، بمناسبة اليوبيل الفضي للإنسانية أولاً. ولكن وبسبب وباء كوفيد، تم تأجيله إلى الآن. في حين تمكن بعض الأشخاص من الحضور شخصياً، إلا أنه ونظراً للتداعيات المستمرة للوباء، فإن غالبية أعضاء الإنسانية أولاً يشاركون في هذا الحدث عن بُعد ويستمعون إلى خطابي من بلدان أخرى.

لقد مر الآن 26 عامًا منذ أن تم تسجيل الإنسانية أولاً رسمياً، وبفضل الله، منذ تأسيسها، استمرت الإنسانية أولاً في النمو والتطور، ونفذت الكثير من الأعمال المؤثرة في أجزاء كثيرة من العالم. وقد خدمت بطريقة أو أخرى في أكثر من 60 دولة، بما في ذلك في الأمريكتين وأوروبا وفي جميع أنحاء أفريقيا والشرق الأوسط وآسيا والمحيط الهادئ. وفي بعض البلدان، استجابت منظمة الإنسانية أولاً للكوارث الوطنية وقدمت الإغاثة السريعة للسكان المحليين، بينما أقامت في بلدان أخرى هياكل دائمة وبرامج مستمرة، مصممة لتلبية الاحتياجات الأساسية للسكان المحليين.

من بين مشاريعها المختلفة، أنشأت الإنسانية أولاً بنوك طعام في بلدان مختلفة، ورتبت للأضاحي على نطاق واسع في العيد من أجل مساعدة المحرومين. وقد أنشأت البرامج لدعم أفراد المجتمع الضعفاء كالمشردين والأيتام. بالإضافة إلى ذلك، تم تصميم العديد من برامجها مع وضع الاستدامة في الاعتبار، على سبيل المثال، تقدم الإنسانية أولاً الدعم للزراعة والفلاحة، وتقدم التدريب الطبي، وتعلم مجموعة من المهارات، فضلاً عن تقديم خدمات الرعاية الصحية في الخطوط الأمامية.

وبالمثل، تدير الإنسانية أولاً برنامج "هدية البصر" منذ عدة سنوات. ومن خلال برنامج "الماء من أجل الحياة"، تقدم "الإنسانية أولاً" مياه الشرب النظيفة لمن يعيشون في المناطق النائية من العالم. وكما ذكر سابقاً، فهي تقدم الإغاثة في حالات الكوارث والطوارئ في البلدان المتضررة من الزلازل والفيضانات أو غيرها من الكوارث الطبيعية. ومن حيث المؤسسات الدائمة، أنشأت "الإنسانية أولاً" المدارس والمستشفيات ودور الأيتام وملاجئ الرعاية. وهكذا، وبفضل الله، أصبحت الآن منظمة خيرية دولية راسخة ومحترمة. في الواقع، وصلت منظمة "الإنسانية أولاً" الآن إلى مرحلة تسعى فيها المنظمات غير الحكومية الخارجية أو المنظمات الإنسانية المماثلة إلى الشراكة والتعاون معها للوفاء بواجباتها وأهدافها الخيرية. على سبيل المثال، في إحدى البلدان عبرت منظمة دولية غير حكومية مرتبطة بالأمم المتحدة عن رغبتها ونيتها بتمويل الإنسانية أولاً لتقوم بأعمال ومشاريع إنسانية نيابةً عنها. وهذا يدل على أن الإنسانية أولاً، بحمد الله، قد اكتسبت احترام وثقة الوكالات الإنسانية الأخرى، بما في ذلك تلك المرتبطة بالأمم المتحدة.

من المقدر بالطبع أن يحدث هذا، فقد قال الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ قَدْ أَحْسَنْتَ فَقَدْ أَحْسَنْتَ وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ قَدْ أَسَأْتَ فَقَدْ أَسَأْتَ" (مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة)

وفي حين أننا لا نتوق للحصول على أي تقديرٍ أو مكافأة، إلا من الله، إلا أنه وكما قلت، تعترف بشكلٍ متزايد المنظمات الخارجية، وبعض الوكالات الحكومية حتى، جهود الإنسانية أولاً وتقديرها، وهذا يشهد على الأعمال المفيدة التي تم إنجازها، ويعكس حقيقة أن "الإنسانية أولاً" قد سعت جاهدة لتحقيق الهدف النبيل الذي

أمرنا الله تعالى في القرآن الكريم بالسعي نحوه، والذي يجب أن يكون هدف حياة المسلم، أي: خدمة الإنسانية وسد احتياجات المكرويين.

لقد أمر القرآن الكريم المسلمين مرارًا وتكرارًا بمساعدة الضعفاء والمحتاجين، بغض النظر عن دينهم أو عقيدتهم أو لونهم. علاوة على ذلك، هناك عدد لا يحصى من أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأقواله التي توضح كيف أمضى حياته كلها في خدمة البشرية وفي السعي لغرس نفس روح المواساة تجاه الآخرين في أتباعه. بلا شك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدر رحمة خالدة للبشرية، ومن خلال أقواله وأفعاله المباركة قد أظهر نورًا أبدياً وسلَّطه على تعاليم الإسلام الرائعة، وبيّن أن خدمة البشرية جزء من تراثنا وأساس من ديننا. على سبيل المثال، يأمرنا الإسلام بحماية الأيتام ورعايتهم، ومساعدة عابري السبيل، وإعالة المحتاجين والمحرومين، ورعاية المرضى. كما يعلمنا الإسلام أن للجيران حقوقاً عظيمة. لقد تم تعليم المسلمين أنه عليهم معاملة جيرانهم بالرحمة والمواساة وأن يكونوا مستعدين دائماً لمساعدتهم في أوقات الحاجة والحزن. قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في الحديث المعروف "ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه".

علاوة على ذلك، فإن تعريف الجار في الإسلام واسع للغاية وبعيد المدى. فهو لا يشمل من يعيشون في مكان قريب فحسب، بل يشمل أيضاً من يعيشون في أماكن أبعد بكثير، إضافة إلى رفاق السفر وزملاء العمل، والمرؤوسين، وغيرهم الكثيرين.

في الواقع، فإن نطاق الجار في الإسلام واسع جداً بحيث يمكن اعتبار جميع أفراد المجتمع جيراننا، وبالتالي، فإن السعي لمساعدة جميع أفراد البشرية للتغلب على آلامهم وأوجاعهم هو الواجب الديني للمسلم الأحمدي.

بفضل الله، ومن خلال عمل الإنسانية أولاً، أتيحت الفرصة للعديد من الأحمديين لخدمة جيرانهم والوفاء باحتياجاتهم، بما في ذلك من يعيشون بقربهم، أو الذين يعيشون في مناطق أبعد بكثير، في الدول والقارات الأخرى.

كما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالسعي إلى تخفيف آلام المرضى، وتقديم العلاج لهم، ورعايتهم برفق، والاستفسار بانتظام عن صحتهم. وفي هذا الصدد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: { مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ طِبَّتْ وَطَابَ مُمْشَاكَ وَتَبَوَّأَتْ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا } (سنن ابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز)، ولم يأمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المسلمين بتقديم الإغاثة والعلاج للمعتلين فقط، وإنما قد بشر أيضاً الذين يبذلون جهوداً صادقة لرعاية المرضى بالأجر في الآخرة. وعليه فإن الذين ينفقون مما رزقهم الله لبناء المستشفيات والعيادات أو لتوفير الرعاية الصحية فإنهم في الواقع يبنون بيوتهم في الجنة.

وفي ضوء هذه التعاليم الإسلامية، قامت الجماعة الإسلامية الأحمدية ببناء العديد من المستشفيات والمدارس في مختلف البلدان. ولكن عندما يتعذر علينا بناء مثل هذه المرافق بشكل مباشر بسبب المعارضة الدينية التي نواجهها في بعض البلدان، فإن "الإنسانية أولاً" قد وفرت لنا سبيلاً ممتازاً للوفاء بالتزاماتنا ورغبتنا القوية في خدمة الآخرين. وبالمثل يذكر القرآن الكريم أن من يحمي الأيتام ويطعمهم يفوز بقرب الله. في حين أن الذين يتجاهلون احتياجاتهم هم من يستجلبون غضبه تعالى. كما أكد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مراراً وتكراراً على أهمية رعاية الأيتام ودعم جميع أفراد المجتمع الضعفاء ومعدومي الحيلة.

في الواقع، روي أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد قال ذات مرة: { اَبْعُونِي الصُّعْفَاءَ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنصَرُونَ بِضِعْفَائِكُمْ } (سنن أبي داوود، كتاب الجهاد) وهنا أعلن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنه يقف جنباً إلى جنب مع الضعفاء والمحرومين، وأنه إذا أراد الإنسان أن ينال حبه وحب الله، فعليه أن يسعى لمساعدة الضعفاء والمكروبين.

مما لا شك فيه فإن سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتعاليمه النبيلة والمباركة أسوة خالدة للأمة الإسلامية وللعالم بأسره. لقد كانت هذه طريقته في رعاية الضعفاء والمحرومين والأيتام ممن فقدوا والديهم وأولياءهم في سن صغيرة وكان يرغب أن يتبع أتباعه السبيل ذاته. لذا، لا تدعوا أي فرصة لخدمة من يعانون من الفقر أو المشقة تفلت من بين أيديكم، ولا تسمحوا أبداً، لا سمح الله، لأي أثر من الزهو أن يدخل قلوبكم طائنين أنكم تقدمون خدمة لهؤلاء الأشخاص، بل هم الذين يقدمون لكم المعروف لأنهم يوفرون لكم الفرصة لكسب رضا الله وجني بركاته في كل من هذه الدنيا والآخرة.

بحمد الله يضحى الأحمديون بأموالهم بسخاء من أجل تخفيف معاناة المنكوبين والمحرومين، ولتحقيق هذا الغرض قد تأسست الإنسانية أولاً. كذلك قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يجب إطعام الجياع، ولذلك أنشأت الإنسانية أولاً بنوك الطعام التي ينتفع منها آلاف الناس. ولقد قامت بعض الدول بعمل جيد بشكل خاص في هذا الصدد، مثل كندا والمملكة المتحدة، بينما يعمل الآخرون أيضاً وفقاً لإمكانياتهم. وتدير منظمة الإنسانية أولاً في أمريكا مخازن طعام ينتفع منها آلاف الأشخاص.

وفيما يخص مساعدة المحتاجين بسخاء، فقد روي أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد قال ذات مرة: { مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا } (صحيح البخاري، كتاب الزكاة). وهذه النية الصافية لخدمة الآخرين فقط، تسعى الإنسانية أولاً لجمع الأموال. وبرؤية هذه الروح، يتبرع العديد من غير الأحمديين ومن غير المسلمين أفراداً وجماعات بمبالغ كبيرة للإنسانية أولاً ويضعون ثقتهم فيها. ويقرون أنه مقارنة بوكالات الإغاثة الإنسانية، فإنهم يرون كيف تستخدم الإنسانية أولاً جيشها التطوعي لضمان الحفاظ على التكاليف الإدارية عند الحد الأدنى بحيث يمكن استخدام أكبر قدر ممكن من المال لدعم ومساعدة من هم في أمس الحاجة إليه. يجب أن يكون التركيز الأساس والرغبة الدائمة لكل عضو في "الإنسانية أولاً" خدمة أبناء المجتمع الأضعف، بدلاً من خدمة مصالحهم الذاتية بأي شكل من الأشكال.

كونوا على يقين أنكم إذا خدمتم خلق الله بإيثار لوجهه وحده، فإنه بكل تأكيد سيجزيكم في الدنيا والآخرة.

حقيقة أن "الإنسانية أولاً" مستقلة إدارياً عن إدارتنا الدينية يضمن أنه لا يمكن لأحد أن يشكك في دوافعنا أو أن يفترض أننا نكتسب بعض المنافع الدينية أو غيرها من المزايا من خلال خدمتنا للإنسانية. ومع ذلك، لا تنسوا أبداً أن ملهمكم الحقيقي كان وسيظل دائماً التعاليم الخيرية للإسلام. لا تخلجوا أبداً من حقيقة أن دينكم وإيمانكم بالله سبحانه وتعالى هو الذي يدفعكم لخدمة القضية الإنسانية.

وفقاً لذلك، حيثما تقدم الإنسانية أولاً أيّاً من خدماتها أو تدعو لجمع التبرعات، اسعوا للتأكد من أن يعرف الناس أنكم تستوحون ذلك من تعاليم الإسلام الجميلة

وأن دينكم هو الذي يلزمكم بخدمة الآخرين بروح الكرم والمواساة. لقد ذكرت أنفًا كيف أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد غرس في أتباعه الرغبة في مساعدة المظلومين والمنكوبين. وسيرًا على خطاه المباركة، قد أكد المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر باستمرار على خدمة الإنسانية وأمر أبناء جماعته بخدمة الفقراء والمحرومين. ولهذا السبب يوجد في الجماعة الإسلامية الأحمدية شغف خاص ورغبة عارمة لخدمة البشرية.

ذات مرة، وهو يتحدث عن أداء حقوق العباد، قال المسيح الموعود عليه السلام: "الحق أن أصعب مرحلة وأكثرها حساسية هي مرحلة حقوق العباد لأن المرء يواجهها في كل حين وآن ويكون هذا الابتلاء أمامه دائما".

ثم قال حضرته: "فيجب أن يخطو المرء في هذه المرحلة بكل حذر".

وأضاف المسيح الموعود عليه السلام قائلاً: "لا تحسبوا أحدا عدوكم الشخصي، واتركوا عادة الضغينة كلياً".

وفي موضع آخر، قال المسيح الموعود عليه السلام: "إن حب البشرية ومواساة الآخرين شكل عظيم من أشكال عبادة الله سبحانه ووسيلة لكسب رضاه تعالى ونبل ثوابه". وقال المسيح الموعود عليه السلام موضحاً كيفية خدمة الإنسانية: "يقول الله - سبحانه وتعالى - مرارا ما معناه واسُوا الجميع دون تمييز بسبب الدين أو العرق وأطعموا الجائعين وفكّوا رقاب العبيد، وسدّدوا ديون المقترضين وتحمّلوا أوزار المثقلين، وأدّوا حق المواساة الصادقة تجاه بني البشر"

ولتحقيق هذه الأهداف، تأسست الإنسانية أولاً، فقد تم تأسيسها لخدمة البشرية بغض النظر عن معتقدات الناس أو خلفيتهم... لقد تم تأسيسها لتقديم العلاج



والرعاية الطبية للمرضى.. لقد تم تأسيسها لحماية الأيتام وإيوائهم ومساعدة الغارقين في الديون. وقد تأسست لإطعام الجوع وإرواء عطشهم. لقد تم إنشاؤها لإغاثة من وجدوا دنياهم تنقلب رأسًا على عقب بلمح البصر نتيجة الكوارث الطبيعية والنكبات أو الذين يعيشون في يأس دون ذنبٍ اقترفوه.

في إحدى المرات، بينما كان يعظ أتباعه لإظهار المواساة الحقيقية والدائمة للبشرية، قال المسيح الموعود عليه السلام: "يجب على كل شخص أن يفحص نفسه ويرى إلى أي مدى هو مهتم بالآخرين وإلى أي مدى يُظهر المحبة والرحمة لإخوانه. إن مواساة الآخرين مطلب كبير ومسؤولية كبيرة تثقل كاهل البشرية".

علاوة على ذلك، قال المسيح الموعود عليه السلام وهو يذكر الحديث الذي يظهر الأهمية الحقيقية لخدمة الآخرين: "لقد ورد في حديث صحيح أن الله تعالى سيقول يوم القيامة: كنتُ جائعاً فلم تطعمني، وكنت ظامئاً فلم تسقني، وكنت مريضاً فلم تعدني. فيقول العباد الذين يُسألون ذلك: متى كنتُ جائعاً يا ربنا ولم تطعمك، ومتى كنت ظامئاً ولم نسقك، ومتى كنت مريضاً ولم نعدك؟ فيقول الله: كان عبدي هذا محتاجاً إلى هذه الأشياء فلم تواسوه، فلو واسيتموه فكأنكم واسيتموني. كذلك سيقول لجماعة أخرى: واهاً لكم فقد واسيتموني. كنتُ جائعاً فأطعمتوني، وكنت ظامئاً فسقيتموني. فتقول هذه الجماعة: يا ربنا متى عاملناك بهذا. سيقول الله: إن مواساتكم بعبدي فلان كانت مواساتكم بي. الحق أن مواساة خلق الله عمل عظيم، يجب على الله كثيراً".

وبالتالي فالأمر متروك لأعضاء الإنسانية أولاً للسعي الجاد وراء تحسين حال البشرية ورفاهها. لا تترتاحوا أبداً أو تشعروا بالرضا عما تم في الماضي، بل انظروا إلى المستقبل وشاهدوا كيف وأين يمكنكم زيادة نطاق خدمتكم للبشرية. يجب أن يكون هدفكم دائماً هو تقديم أقصى خدمة ممكنة مع استخدام الحد الأدنى الممكن من الموارد.

كما ذكرت، اكتسبت الإنسانية أولاً اسماً جيداً حيث تدرك العديد من المنظمات الخارجية أن الإنسانية أولاً تحقق الكثير من ميزانية أصغر بكثير مقارنة بالجمعيات الخيرية أو المنظمات غير الحكومية نظراً لقوتها التطوعية والروح التي يخدم بها أعضاؤها. بالتأكيد، يسعدني أن عمال الإنسانية أولاً ومتطوعيها في جميع أنحاء العالم يخدمون بحماس كبير وروح حقيقية من الخدمة والتفاني. أدعو الله تعالى ألا تتضاءل هذه الروح أبداً بل تزداد دائماً.

أود أيضاً أن أكرر أنه لا يجب أبداً أن يشوب قلوبكم أي أثر للغرسة فتظنوا أنكم قد قمتم بعمل رائع أو تفكروا أنكم قدمتم معروفاً للمستفيدين من مختلف مشاريع الإنسانية أولاً. بل في جميع الأوقات يجب أن يسري التواضع المطلق والامتنان لله تعالى في عروقتكم. ركزوا دائماً وأبداً على نيل مرضاة الله سبحانه وتعالى، واعلموا أن خدمة الآخرين واجبنا الديني، وأنه بدون أداء حقوق الناس، لا يمكننا الوفاء بحقوق الله سبحانه وتعالى.

في الختام، أود مجدداً أن أتقدم بخالص التهئة والشكر لمتطوعي وأعضاء فريق الإنسانية أولاً، لأنهم خلال ربع القرن الأول قد خدموا بطريقة مثالية مع إخلاصٍ وولاءٍ كبيرين لقضية خدمة الإنسانية.

لقد مكن شغف المتطوعين "الإنسانية أولاً" من أن تصبح اسماً على مسمى وتصير وكالة مشهورة للأعمال الخيرية والإغاثة في حالات الكوارث.

بحمد الله، كل عام يستمر نطاق عمل الإنسانية أولاً بالتوسع، وأدعو الله أن يظل الحال هكذا دائماً وأن يكون أعضاؤها ومتطوعيها على أهبة الاستعداد دائماً لمسح دموع المكروبين والمثقلين بأي شكل من الأشكال. أدعو الله أن تكونوا دائماً على

استعداد لمساعدة الأبرياء ممن هم ضحايا ظروفهم بحيث يتغلبون على حزنهم ويأسهم  
ووجههم.

وأدعو الله أن تدافعوا دائماً عن حقوق الضعفاء والمحرومين. وفقكم الله جميعاً لتقوموا  
بدوركم في خدمة قضية الإنسانية ومساعدة من أنهلكم الفقر المدقع والحرمان حتى  
يقفوا على أقدامهم. بارك الله في جهود الإنسانية أولاً وأدعو الله أن لا تتراجع خطوة  
للوراء أبداً بل أن تسير قدماً دائماً في جهودها الإنسانية. آمين. جزاكم الله.